المقدّمة

إنّ السّلام ليس مجـرّد موضوع أكاديميّ بالنسبة لـي، إنه هدف وجوديّ، ولطالما حلمت بالسّلام بقدر ما أتذكّر. أستطيع القول وبكل صدق إنني ولدت مسالمًا، وأحيا حياة محبّة للسلام، حياة طالما كانت مصدرًا للعزاء الروحانيّ بالنسبة لي. وباختصار، فإنّ مهمّة حياتي قد تُسمى مهمّة سلام.

وبطبيعتي، فقد كنت دائمًـا نباتيًّا. والقتـل والعنف كانـا شيئين كريهين بالنسبة لطبيعتي الفطريّـة. أشعر أنّ مثل هذه الأفعـال قد لا تكون متوافقة معَ شيفرتي الجينيّة. ولربّما ولدت بمثل هـذه الطبيعة التي تجعلني حسّاسًا جدًّا تجاه هذه المسألة؛ لكي ألاحظ أهميّتها وأمّارس دوري كاملاً في مهمّة السّلام هذه.

لقد عرفني الجميع طيلة حياتي شخصًا مسالمًا محبًّا للسلام. وبالفعل، فإنّ أيّ حدث عنف كان يؤثر فيّ لدرجة يذرف فيها الدمع من عينيّ، أحيانًا سواء أحدث ذلك العنف في الوطن أم في الخارج، وسواء أكان الضحايا معروفين أم غير معروفين بالنسبة لي.

لقد صادفت الكثيـر من مثل هذه الحوادث في حياتـي. وسأسرد إحداها لتوضيح وجهة نظري.

في أحد الأيّام، وعندما كنت شابًّـا، كان أخي الأكبر قد انطلق وأصدقاءه في رحلة صيد، وقد أصرّ عليّ أن أذهب معهـم حينها، ممّا لم يجعل أمامي خيارًا آخرَ. انطلقنا حينئذٍ نركب سيارتين، وبعد مضيّ قُرابة الساعتين مررنا بأطراف المدينة وحقولها وبساتينها، وهنا ابتدأ أخي بصيد الطيور الموجودة

في أعالي الأشجار، ثمّ إنّ أخي وأصدقاءه أعطونـي بندقيّة، وطلبوا إليّ أن أصوّب على طائر (كاهلاك) جالس على قمّة شجرة، وقد فعلت كما طلبوا؛ حيث ثبتّ البندقيّة بكتفي وصوّبت على الطائر. ولكن، وحين أصبح الطائر في مدى رمايتي تمامًا انتابني شعور غريب بعـدم الراحة، بحيث لم أتمكّن من الضغط على الزّناد، فعمدت إلى تسليم البندقيّة إلى أخي. تلا ذلك أنني شعرت بثقل في صدري؛ فاستأذنت أخي وأبنـاء عمومتي في المشى قليلاً، وما إن ابتعدت عنهم مسافة لا تسمح لهـم برؤيتي حتى ركبت حافلة وعدت إلى المنزل في (اللّه أبـاد). إنني مسالم، لكنّ سلميّتـي ليست ذات طبيعة استراتيجيّة، وهي ليست صيغة لتبرير الدعم في حالة والمعارضة في حالة أخرى.

إنّ سِلْمِيَّتي تمتدّ إلى كلّ البشريّة؛ حيث إنّ لها قيمة إيجابيّة بكلّ ما تعنيه الكلمة. إنها جيّدة بالمطلق، وهي تشـكل بالنسبة لي قاعدة الخير كله؛ فهي ليست نظريّة مجرّدة، بل هي جزء من لحمي ودمي، وهي ألم قلبي. ومن ثَمّ فهي حياتي وصـوت روحي. لقد رويت نبتة السّـلام بدموعي، وعشت حياتي كاملة لأجل قضيّة السّلام، وأريد أخيرًا أن أموت لأجل هذه القضيّة.

لقد ابتدأت المرحلة العامة لمهمّتـي للسلام في 28 شباط 1955م عندما انعقد اجتماع عـامّ في مدينة لكناو التاريخيّـة؛ إذ ألقيت في ذلك الاجتماع خطابًا ابتدأ بالكلمات الآتية: «إننا نقف على عتبة عهد جديد؛ عهد سيُسمّيهِ المؤرّخون مستقبلاً بالعهد الذرّي، ولكن قد لا ينجو أيّ من أولئك المؤرّخين ليروي حكاية دمار البشريّة». لقد نُشر هذا الخطاب في عام 1955م على شكل كتيّب بعنوان: **على عتبة عهد جديد** .

وبعد الحرب العالميّة الثانية، غطت الكآبة نصف القرن اللاحق خوفًا من خطر الحرب الذريّـة. ومعَ هذا، فإننا ننعم برضا كبيـر كوننا دخلنا عتبات القرن الواحد والعشرين والأمل يملؤنا أنه قد تمّ تفادي خطر الحرب الذريّة، وأنّ عهدًا جديدًا للسلام قد ابتدأ في كلّ أرجاء العالم. إنّ هذا الكتاب هديّة للجيل الجديد من رجل محبّ للسـلام، يحاول فيه أن يعرض عقيدة حياة كاملة مرتكزة على السّـلام، يمكن تلخيصها في هذه الكلمـات: إنّ السّلام ليس خيارًا: إنه قدرنا. فأمّا أن نعيش في سلام أو ندمر أنفسنا بتركه. وممّا لا يمكن إنكاره في هذا العالم أنّ المستقبـل للسلام فقط، ولن يكون هناك مستقبل للحرب والعنف.

وحيد الدين خان

نيودلهي

19 تموز 2002م

obeikandl.com